

بين كوليت الشام وعقل لبنان أشخاص يسكنون حياتنا ويصبحون جزءاً منها دون أن يشاركونا اليوميات

آلاء جمعة

نسمع ونقرأ الكثير من الإطراءات وعبارات المدح وصفحات من التكريم والتبجيل والثناء على أهل الأدب والفن والشعر ولكن جميعها ما يطفو على وجهه مسحة من الجدية أو الواجب والتتويج المتكلف من أجل توقيف شخصية عظيمة أو ظن بها ذلك، ولكن ما قل وجوده أن ترى مثل هذه الوقفات عند السجاياء والحسنات وتسطير الإنجازات وتخليد الرجال يتضوع منها عبق الود ونسيم الذكريات البعيدة ودفء العلاقات الوطيدة، فهو مدح مزوج بالحب والاحترام والتوقير وعندها تعجز الكلمات ولا ترتفع إلى مستوى القامة الموصوفة بالأحاسيس لا تحدد بحروف ولا يحيط بها تعبير، وهذا ما يتجلى واضحاً في الكلمة المطولة التي خطتها كوليت الخوري بمداد الوفاء لتكتب عن شاعر عظيم وقامة معطاء نبيلة كانت معرفتها به فاصلة مضيئة في حياتها كما قلها المضيء الذي سحره وأسرده وكتب عنه كلاماً رائعاً هو هذا القلم الذي سطر عبارات أجمل ما قرؤه عن تكريم راق بحروف عذبة وعاطفة صادقة وأسلوب رشيق كرشافة كوليت وريشتها تكريم يلقى بالمرء ولا يفقه حقه.

سعيد عقل وصفحة من ذاكرتي هذا العنوان الذي اختارته كوليت لكتابها الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة الواقع في أربع وستين صفحة وربما كان الأجدى أن تسميه سعيد عقل وصفحة من ذاكرتي وقلبي لفيض الأحاسيس الراقية التي لا تحنجر عنك وأن تقرأ كلماتها، هذا الكتاب هو حفظ إرادته كوليت لكلماتها عن سعيد عقل بين دفتي كتاب، وكلمة ألقته في الرابع من تموز سنة ٢٠١٢ في مهرجان التي أقامته جامعة السيدة اللوزية في مقر الأوسكو في بيروت تكريماً لسعيد عقل بمناسبة عيد ميلاده المئة.



صفق الأرز لها مبتهجاً
كل قلب يشتهي أن يسمع

تكريم متبادل

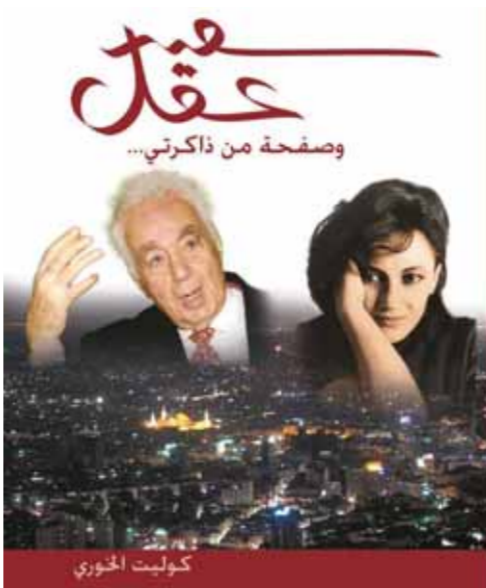
افتحت كوليت كتبها بكلمة كتبتها عنها سعيد عقل منذ نصف قرن من الزمن لأنها اعتبرتها أجمل مقدمة ممكن أن تكون لكلمتها عنه ومما جاء فيها:
الدمشقية الشابة، ذات القلم الضوئي.. بقلم سعيد عقل.
إن الذوق الشعري الذي يجلب اصطبارها الكلمة ظاهرة لا يعرفها في الشرق سوى كتاب قائل... القصة حتى أمس تكاد تتعارض مع الشعر حتى تكون كوليت، وتقول بهذا الزواج الطريف وتنجح قصص كوليت غداً ستكسب نضجاً، كل منها ستعني بالمشاكل الجمة التي يعالج بها العصر، ولكنها أريد أن تزداد بهاء كلمة، ذلك أن كوليت بلغت من هذا حد البساطة المعجزة، نحن في لبنان... طربنا لهذا الورد المنضود يجيئنا من ضفاف بردي.
ثم كتبت بعد هذه العبارات الأسرة التي توجهها بها سعيد عقل تقديم الأديب الكبير «سهيل مطر» لها في المهرجان:
وفدت كوليت والشام معاً
فاذا لبنان يغدو أروع
جداً الفارس من يجله
وأبوه كسهيل طلع

لبيروت البدايات

«مر بي الزمن طويلاً في أيامه صفحات من عمري، صفحات تبدلت فيها المفاهيم، تدورت فيها المبادئ، تلونت فيها الأجواء، في كل يوم في كل صفحة، كنت أحيا مرة، وألف ألف مرة، أموت، لكنني على الدوام، ورغم مرارة الأيام برغم خيبيتي ووجعي... وعيني المكبوتة...! كنت على الدوام أشوق المجيء إلى هنا.. فقط لأقول: «سلام عليك يا بيروت».

الاعتذار اعتراف

قبل أن تنب كوليت من المقدمة إلى مضمون كتابها أولكلمتها أوضحت في بادئ الأمر عندما أخرجها «جورج شكور» أنها اختيرت من أجل المشاركة وإلقاء كلمة عن سعيد عقل في عيد ميلاده المئة. «كانت ردة فعلي الأولى أنني جفلت...! ففي هذه المرحلة المشوهة، هربت مني كلماتي، هربت والزوت، خوفاً من عدوي التشويه...! ثم إن الحديث عن سعيد عقل هو حديث عن عالم يفيض معرفة.. ويتألق نبلاً ويسمو بالإيمان، هو حديث عن دنيا طامحة بالحب والشعر والجمال... أين نحن اليوم من هذا العالم



البيدع؟؟ والحقيقة هي أنني جفلت وانكشمت على نفسي لأنني خفت!! خفت على قلبي الذي لقيه سعيد عقل ذات يوم بعيد بعيد، بالعلم الضوئي... خفت أن يفتت ضوءه في حضرة هذا الكيان المتوهج، إبداعاً وفكراً وسناء... وإذا ما ذكر لبنان في أي مجال من المجالات ومن أي زاوية فتحت ذراعي وسع الدنيا لسعيد عقل. هذا.. إن تنازل سعيد عقل ورضي بها...!!

كوليت العبيبة

في إشكالية علاقة سعيد عقل بكوليت أوضحت الكاتبة طبيعة هذه العلاقة وماهيتها وجوهرها الذي يسمو فوق كل التسميات ويقدم عن التوصيفات «عائني العزيز جورج، تعذرني عن المشاركة؟ كيف؟؟ وأنت حبيبة سعيد عقل الأولى... والأخيرة...؟ لا أنا لست حبيبة سعيد عقل الأولى ولا الأخيرة... أنا لست حبيبة سعيد عقل، أنا أهم من هذا عند سعيد عقل... أنا.. الخلفية الأنثوية العريقة، لكل حب عاشه سعيد عقل في حياته الفنية.. أنا الشام! أنا الشام تذاق بردي... سندس الغوطة... شذى الورد... بوابة التاريخ أنا والسكب عندما الشرق بظلمة... حبيبة سعيد عقل الحقيقية... شامي أنا!.. «شامي التي وحدها.. للعود أنغام» كما يقول سعيد... وعليه.. «أنا الحبيبة» ولتبرهن على حقيقة كلامها وعمق احترامها لسعيد عقل

فلا تقول لأجل القول ولا تمدح لغاية المدح وأنه نجم لامع توجعت من ضيائه العيون واستحق مدح معاصريه وتقديرهم تذكر وعلى لسان أعظم شعراء الشام وأرفهم حساً قول نزار قباني عن سعيد عقل عندما سأله: «من برأيك لإشارة الشعر في البلاد العربية؟؟ قال على الفور: «إمارة الشعر لسعيد عقل دون منازع... هذا.. إن تنازل سعيد عقل ورضي بها...!!»

لحظة اللقاء ودهشة الأرواح

«أما أنا- فسعيد عقل بالنسبة إلي هو هذا الشاعر الوسيم الذي استطاع منذ اللحظة الأولى التي قابلته فيها، ذات يوم بعيد بعيد... استطاع أن يترك بصمته فواحة في سجل حياتي... كما العطر في ياسمين دمشقي... منذ اللحظة الأولى... وأعود معكم إلى ذاك اللقاء البعيد في أواسط الخمسينيات ذاك اللقاء أو تلك الصفحة الواقعية من ذاكرتي، بل تلك اللوحة... أنا أذكرها جيداً جيداً... فهي مرسومة في خاطري، محفورة في قلبي... ويقدر ما هي بعيدة عن حاضري! بقدر ما هي قريبة مني... وتذكر كوليت أن لقاءها الأول بسعيد عقل كان لقاء اعتيادي لرجالات السياسة والأدباء والشعراء الذين يرتادون باستمرار إلى بيت

جدها رئيس الوزراء في ذلك الوقت «فارس الخوري» وكعادتها تدخل وتسلم على الزائر ولكن هذه المرة كان الزائر استثنائياً فتصهف بأنه «وسيم بهي الطلة صافي النظرة صادق التعبير تبدو غرته الحلقة في الفضاء وكأنها تريد التأكيد على رحابة الجبين العالي» وأول ما سمعته بصوت سعيد عقل هي قوله إنه يريد «أن يعلق اللبناني»، وعندما لحها قطع حديثه فعرفه جدها عليها فظل يتأملها. عقد حاجبيه وقال فجأة بلهجته الزحلاوية: تعالي وك يا بشعة! «ضحكت... ضحكت... ففي تلك اللحظة.. شعرت بأنني أجمل صبايا العالم...» فكانت جملته هذه أول عبارة يفتتح بها أول صفحة من صفحات ذاكرة كوليت المرتبطة به وبكياته الشامخ وترد قائلة: «سعيد عقل بالنسبة إلي... هو من هؤلاء الأشخاص الذين يسكنون حياتنا، يصبحون جزءاً منها من دون أن يشاركونا يومياتنا... لتلقي بهم بين الفترة والفترة، فتغمرنا الفرحة... ونبتجج لكننا نواصل أحاديثنا وكأنها لم تنقطع يوماً... فنحن نعرف أنهم دائماً معنا حتى لو لم نجتمع بهم...!! هم الجزء الثابت في حياتنا، والركن الدافئ في وجودنا... هم الأهل الضمان.. هم الأسرة العشرية، هم الوطن العالي... وتكمل في حديث الوفاء له ومحاولات إزاليته منزلته التي يستحق ورسم معالم هذه الشخصية العملاقة التي لا يستطيع وصفها ورؤية علقته إلا من كان مثلها.. «قد سمعت سعيد عقل يقول لفارس الخوري إنه يريد أن يعلق لبنان...»

فأنا اليوم.. بعد هذا العمر الطويل.. الآن وقد كبرت... وهرمت... وخبرت الدنيا الآن أستطيع أن أقول: إن وجود سعيد عقل كافٍ وحده ليعلم أي بلد في العالم، يقول سعيد عقل: «إن ريشتي ذات غرة شمسية...» وأما أنا.. فقد تمنيت أن أعط ريشتي بالشمس لأكتب عن سعيد عقل... لكنني وجدت الأكثر حميمية... وإشاعة، أن أعفها بكتابتها... فكانت هذه الصفحة من ذاكرتي... رحلة قصيرة في حنايا ذاكرة الأديبة السورية كوليت الخوري تستحق منا الوقوف عندها ولتعلم كيف يكون الكبار، كيف يكون الوفاء... وإن إكبار الآخرين لا يسوء لنا ولا يقلل من شأننا بل يسمو بنا لسمو المدح ورفعة قدره أدبياً وفكرياً... قائل هم من يستحقون المدح والتخليد ولعل سعيد عقل فليهب الكتاب والمادحون في وصفه وتكريمه..

مسير الأغنية الشعبية الدمشقية وتكريم زياد زكاري

أحلام الترك لـ«الوطن»: الأغنية الدمشقية تمتاز باللطافة والرشاقة وجزالة اللحن والكلام

سارة سلامة

للأغنية الشعبية مكانة كبيرة في مجتمعنا السوري، فهي أغنية تتحدث باسم الشارع وقريبة من هموم المواطن وهناك الكثير من الفنانين السوريين الذين تميزوا بأدائها مثل «لودى الشامية، كروان، رفيق شكري»، وتختلف هذه الأغنية باختلاف البيئة على مختلف أرجاء الأرض السورية مثل أغنية الجزيرة وحروران والساحل السوري والأغنية الدمشقية التي تتميز عن غيرها بالخفة واللطافة، ولا شك أن الدراما السورية ساهمت بانتشار هذه الأغنية في الوطن العربي وأصبحت مغناة ومحبة، وإذا ما قلنا إن الفنان الراحل رفيق سبيعي آخر من غنى مونولوجاً وأغنية شعبية فاليوم ما مسير هذه الأغنية اليوم؟ وعن أهمية الأغنية الشعبية وعلقتها الكبيرة بتراثنا أقام المركز الثقافي العربي في أبو رمانة بالتعاون مع مديرية التراث الشعبي معرض لوحات تراثية لعدة فنانيين ومنهم الراحل زياد زكاري وصور فوتوغرافية عن الفنون الشعبية، وندوة بعنوان «الأغنية الشعبية الدمشقية» للباحث محي الدين قرنفلة، وإشراف مديرية التراث الشعبي أحلام الترك.

تجسيد آمال الشعب

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» أكدت مديرة التراث الشعبي أحلام الترك أن «الأغنية الشعبية بالعموم لا تقتصر على الفن فقط لأن بداخل كل أغنية صورة حياة شعب ومجموعة ومنطقه ما تجسد أمال هذا الشعب وطموحاته ونظراته للحياة وخصائصه، وعندما نقول الأغنية الشعبية التراثية تتساءل ماذا تختلف عن الأغنية الشعبية في الجزيرة وعن أغنية جيل حوران وبالأكيد هناك اختلافات لأن كل منها تحمل صفات بيئتها وطابعها الخاص وما يجمعها كلها هو الفضاء الجغرافي السوري والتاريخ السوري المشترك». وبيتت الترك أن «موضوعنا اليوم هو عن الأغنية الدمشقية وما تمتاز عن مثيلاتها في الأرض الجغرافية السورية وتميزها باللطافة وجزالة اللحن وجزالة الكلام والخفة أو الرشاقة بالألفاظ واللحن والطراقة والحضور الذكي، ويرافق هذه الحاضرة معرض فني مصور لفنانين مختلفين ومنهم الفنان الراحل زياد زكاري، حيث وقفوا للديكات في كل المحافظات السورية بين عامي ١٩٦٠ و١٩٨٠ وليس في دمشق فقط، وهذه الحاضرة رقمها ٢٠ بسلسلة نشر ثقافة التراث في مديرية التراث الشعبي



من الندوة

بمديرية الثقافة ونحن دأبنا منذ سنتين وأكثر على نشر ثقافة التراث».

أصدق تعبير عن الشعب

وفي تصريح مماثل أكد الباحث محي الدين قرنفلة: «أنا تسلط الضوء في هذه الأمسية على الأغنية الشعبية ودورها الكبير وعلاقتها بتراثنا والتذكير بالمطربين الذين غنوا هذا اللون الشعبي في الأعراس والمناسبات الوطنية ولم يكونوا معروفين إعلامياً ولهم دور كبير في المناسبات المختلفة في ستينيات القرن الماضي، هذا النوع من الأغاني له طابع خاص لأنه يلامس الواقع من خلال النقد الاجتماعي». ومن المغنين: «أبو ياسين الشيخ وأبو زهير رهونجي» في حي «الشافور»، كما تذكّر المونولوجيست «سلامة الأغواني»، الذي غنى في فترة الانتداب الفرنسي المونولوج الناقد وكان يحرك الشارع السوري بأغنياته واستمر للسبعينيات». وتحدث قرنفلة في الندوة قائلاً: إن «الغناء الشعبي عند العرب لم يلق مثل ذلك الاهتمام من المؤرخين القدامى وخاصة مؤرخي الموسيقى، اعتقاداً منهم أن هذا اللون من الغناء لا يستحق اهتماماً كبيراً في مادته الشعرية ولا في مادته الموسيقية، لأنه لا يمثل المستوى الأدبي والفني

للغة التي كان يكتب لها التاريخ في العصور الخالية، على الرغم من أن هذا الغناء يعبر أصدق تعبير عن روح الشعب في مختلف عصور التاريخ، على أن هذا الأفعال لفصحة الغناء الشعبي عند العرب لم يستطع النبات أمام تيار هذا الغناء الذي فرض نفسه على المؤرخين في كثير من المواطن لارتباطه بأحداث سياسية معينة «الموايا» وبعض الحكايا المتداولة «العتاب»، وبعض المناسبات الدينية «القوماء» فقد خلد الشعب حياته في أغانيه فأنت تصويراً مختلف أوجه حياتهم وتعبيراً لما يضطرب في أضاف قرنفلة: إن «الأغاني الشعبية الدمشقية تتميز بجمال معانيها وصدقها ورقتها وشيوها، وألحانها المرحة البسيطة، البناء سواء في أغاني الحب والحزن، والشكوى والعتاب، أم في أغاني الطرب وإلى حد ما في أغاني الأطفال، ولما كانت هذه الأغاني ترتبط بدورة حياة الإنسان ومعتقداته، وسمره ولهوه، وفرحه ومرحه، وعواطفه ومعاناته، فإنها تكتنز جانباً كبيراً من عادات القوم وتقاليدهم في شتى نواحي حياتهم، وتحرص على عدم المساس بتلك القيم وتتصدى للممارسات التي تتعرض لها بسوء من قريب أو من بعيد، وذلك بأسلوب هادئ يعمل إلى «الميلو دراما» خال من الصراعات وإثارة النعرات، ومن تلك الأغاني أغاني الحب والغزل.



من أعمال زياد زكاري

أين الأغنية الشعبية اليوم؟

ومن جانبه قال وراق دمشقي صلاح صلوحه: «إذا ما نظرنا إلى الأغنية الحديثة اليوم لا نجد فيها اللذة الموجودة في الأغنية القديمة الشعبية مثل «بعم العباية»، وغيرها الكثير من الأغاني وللأسف لم تعد الأغنية الشعبية موجودة اليوم حيث كان لها أهمية كبيرة خاصة أنها حملت هموم المواطن وذات أهداف ومعان، وترافقت الندوة مع معرض فيه لوحات لعدة فنانيين ومنهم الفنان الراحل زياد زكاري وهو من أهم الفنانين المهتمين بالفن الشعبي ولديه لوحات جميلة جداً في الأزياء الشعبية وحمل الطابع الشعبي بشكل جيد ورسم على الطوايح البريدية، ولكن لاحظنا في هذه الأمسية أن لا وجود لفتة الشباب وهذا يدل على أن الأغنية الشعبية لم تكن في عهدهم وليس لهم اهتمام بها». وبدوره قال مختار حي العمارة محمد سعيد مراد: إن «الأغنية الشعبية منازل حاضرة ولها دور مهم في الشارع برفع مستوى الوعي عند الناس ومنها: النقد الاجتماعي والاقتصادي والخدمي ولها رسالة معينة ومآزات موجودة الآن في الأفراح والأحزان ونحن نلاحظ عند تشييع الشهداء استخدام مثل هذه الأغاني».